رسالة إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم الخراساني

د.أيوب عبد الحميد
الجامعة المستنصرية–كلية التربية الأساسية

مقدمة:

تناولت هذه الدراسة موضوع الرسالة التي نسبت إلى إبراهيم الإمام وهو رأس الدعوة العباسية، وقال واضعو الرسالة: إنها صدرت عنه إلى أبي مسلم الخراساني، بتاريخ .... تحمل توصيات لرئيس الدعاة تدور حول، ولاسيما أن الدعوة العباسية وجدت مناخاً خصباً في خراسان، وذلك لبعدها عن مركز الخلافة. هذا من جانب ومن جانب آخر أن العرب في خراسان انشغلوا بالصراعات القبلية بين اليمانية والقيسية.

فاستغل دعاة العباسيين هذه الانقسامات القبلية لإضعاف السلطة المركزية في خراسان، بالإضافة إلى الدعاية الواسعة التي قاموا بها وهي التي هيأت أذهان الناس للثورة من أن الدولة الأموية قد أفل نجمها وبشروا بظهور (المهدي) الذي قالوا إنه سيزيل حكم الأمويين ويهدم أسوارهم... مما جعل كثيراً من سكان خراسان ينخرطون في مسار الدعوة لنوازع مختلفة واتجاهات شتى.

وبعد قراءة مستفيضة لهذه الرسالة وتحليل لعناصرها يميل لكون الوظيفة موضوعة وإن لم تكن كلها فالجزء الأكبر منها لاسيما العبارة التي تأمر بقتل كل العرب في خراسان.

أول إشارة للوظيفة ترد في الطبري (ت٣١٠هـ)، ضمن أحداث سنة (١٢٨هـ) تقول إن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أوصى أبا مسلم الخراساني، مانصه: "ياعبد الرحمن، إنك رجل منا أهل البيت، فاحفظ وصيتي، وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم، وحل بين أظهرهم، فإن الله لايتم هذا الأمر إلا بهم، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم، وانظر هذا الحي من مضر

فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء ألا تدع الشيخ –يعني سليمان بن كثير الخزاعي– ولاتعصه، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني[١].

إن هذه الوصية قد جاءت في تاريخ الطبري من دون أن يذكر الرواة الذين أخذ عنهم أو الذين وقعوا وراء وضع هذه الوصية حتى صدرت عن إبراهيم الامام. كما وردت هذه الوصية في كتاب (الامامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة الدينوري[٢]. غير أنه ذكر في الشطر الأخير منها (إن استطعت ألا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فافعل)، وقد جاءت هذه الوصية في كتاب (العيون والحدائق لمؤلف مجهول)[٣]، على النحو الآتي: انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم وحل بين أظهرهم فإن الله عز وجل لايتم هذا الآمر إلا بهم، وربيعة فاتهمهم وكذلك مضر فهم العدو القريب الدار، واقتل من شككت في أمره ولا تخالف هذا الشيخ.

وأخذ ابن الأثير[٤] في كتابه الكامل هذه الوصية عن الطبري كما جاءت في تاريخه، بينما ذكر أبو حنيفة الدينوري[٥] جزءاً من الوصية لكنه نسبها إلى ابي العباس السفاح، الذي أوصى أبا مسلم الخراساني (ألا يدع بخراسان عربياً لايدخل في أمره إلا ضرب عنقه).

---

[١] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٦)، ج٧، ص١٣٧.

[٢] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (ت٢٧٦هـ/٨٢٩م)، الامامة والسياسة، مطبعة البابي الحلبي، (القاهرة، ١٩٦٣)، ج٢، ص١٣٧.

[٣] مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، (ليدن، ١٨٦٩)، ج٣، ص١٨٤.

[٤] أبو الكرم عز الدين محمد بن الحسن الشيباني، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٠)، ج٥، ص٣٤٨.

[٥] أحمد بن داود، (ت٢٨٢هـ/٨٣٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص٣٩٥.

وأشار الأزدي[1] إلى قسم من هذه الوصية فقال: كتب إبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم الخراساني (ألا يدع بخراسان أحداً يتكلم العربية إلا قتله)، ويبدو أن هذه الوصية أكبر الوصايا التي أثقلت الدعوة العباسية ودولتها بالابتعاد عن الخط العربي، وأخرجت الدعوة العباسية عن الدائرة العربية، إذ أصدر عدد من المؤرخين والكتاب حكماً على الدولة العباسية بأنها بعيدة عن الاتجاه العربي، وأصدر فريق آخر بأنها غير عربية، وهذا ماحداهم –قديماً وحديثاً– على الوقوف عند هذه الوصية وقفة طويلة وصارت مادة خصبة للبحث والتقصي، وما زالت الوصية تعد مادةً حيوية للدرس والمتابعة والتحري.

وقد ذهب المؤرخون في تفسيرها إلى ثلاثة آراء، فهناك من رأى أن هذه الوصية صحيحة ولم يكلف نفسه عناء البحث والتقصي، وهذا الفريق كان مطمئناً إلى ماجاء بهذه الوصية وتوظيفها في خدمة موقفه الذي يدفع به الدعوة العباسية ودولتها بعيداً عن شخصيتها العربية، وفريق ثانٍ ذهب إلى أن هذه الوصية صحيحة وأنها كما جاءت في الطبري وأنها من إبراهيم الامام إلى أبي مسلم الخراساني ولكن المراد بقول إبراهيم الامام (وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل) هو قتل كل المؤيدين للدولة الأموية وليس قتل من يتحدث باللغة العربية، وقد اعتمد هؤلاء على دراسة المرحلة الحضارية، التي كتبت بها هذه الوصية وأشاروا إلى أن كلمة (عربي) كانت تستعمل صفة لقبيلة عربية أو لمجموعة من القبائل التي لها موقف في تأييد الدولة الأموية، وقرروا أن المراد بقوله: (وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل) هو قتل دعاة الأمويين الذين يقفون موقفاً معادياً من الدعوة العباسية، وفريق ثالث اتجه إلى الرأي القائل: إن هذه الوصية موضوعة– وإن لم تكن موضوعة كلها– فإن قسماً منها لابد أن يكون موضوعاً ولاسيما النص

[1] الشيخ أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم، (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، تاريخ الموصل، تحقيق: د.علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة، ١٩٦٧)، ص١٠٧.

الأخير الذي يدعو إلى قتل كل من يتحدث بلسان عربي، ويستند هؤلاء إلى جملة إشارات أو ملاحظات يعتمدونها أساساً في تفسير موقفهم، وللتدليل على أن هذه الوصية، أو جزء منها، لابد أن يكون موضوعاً، مايأتي:

١) إن هذه الوصية جاءت في تاريخ الطبري من دون أن تسند إلى رواة معينين، وهذا يشير إلى أن الطبري نفسه غير متأكد من صحتها بدليل أنه يسير في كتابة تاريخه على طريقة المحدثين، الإسناد إلى الرواة ومتابعة الخبر حتى مصادره مع ذكر سلسلة الرواة بدقة ومناقشة هؤلاء الرواة في صحة رواياتهم وفي أمانة رواتها وثقتهم ودقتهم في نقل الخبر.

٢) إن كتاب (أخبار الدولة العباسية- لمؤلف مجهول)[١] الذي حققه كل من الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي، لم يذكر هذه الوصية، على الرغم من أن هذا المؤلف (الكتاب) يحتوي على أخبار الدعوة العباسية بصورة مفصلة.

٣) إن ذكر هذه الوصية في كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب إلى ابن قتيبة لايعول عليه ولايمكن أن يكون شاهداً على صحتها، لأن مؤلفه غير دقيق في رواياته عن الدعوة العباسية وبدء تأسيس الدولة، فهو كما يقول الدكتور عبد العزيز الدوري[٢]: مرتبك في بعض رواياته عن العباسيين.

٤) أما ذكر هذه الوصية في تاريخ ابن الأثير، فلا يشكل حجة على صحتها لأن ابن الأثير يأخذ عن الطبري ولا يأتي بشيء جديد ولم يزد على ماأخذه عنه.

---

[١] مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري: أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٧٠).

[٢] العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٨٨)، ص٢٧.

٥) عن موضوع هذه الوصية فيه أخذ ورد ومحل شك ولاسيما أن قسماً من المؤرخين المشهورين لم يذكروا هذه الوصية في مصنفاتهم كاليعقوبي والمسعودي وابن خلكان[١].

٦) يرى القارئ المدقق أن القول في هذه الوصية بكل أبعادها متناقض إذ أن مطلعها يختلف اختلافاً كثيراً عن نهايتها، ففي المطلع تدعو الوصية إلى الاهتمام والاقتراب من أهل اليمن وإكرامهم وإن الأمر لايتم إلا بهم وقبائل اليمن عربية ولغتها عربية، وأنها في خراسان، فكيف توفق بين هذه الآراء (المديح بقبائل اليمن والدعوة لقتل كل لسان عربي في خراسان) وكيف يوصيه إبراهيم الامام بذلك والعرب على تنازعهم قوة عسكرية يخشى بأسها والدعوة العباسية ماتزال ضعيفة وكيف يوصيه بسحق العرب وأهم شيوخ الدعوة العباسية–سليمان بن كثير الخزاعي– وهذا من خزاعة وهي قبيلة عربية ولسانها عربي، فكيف التوفيق بين الدعوة إلى الرجوع إليه وعدم مخالفته والدعوة إلى قتل كل من يتحدث بلسان عربي.

والحق نرى أن هذه الوصية موضوعة أما كلها أو في الأقل القسم الأخير منها الذي يدعو إلى قتل كل لسان عربي في خراسان، وإن واضعها هو أبو مسلم الخراساني الذي وجد في مصلحته أن يقضي على خصومه السياسيين ولاسيما رجال الدعوة العباسية حتى ينفتح المجال أمامه لتنفيذ مؤامراته التي باتت فصولها صريحة منذ خلافة السفاح والتي دفعت به إلى المحاكمة ومن ثم القتل. فإذا أمعنا النظر في تصرفات أبي مسلم عند ذهابه إلى خراسان وتصرفاته بعد دخوله (مرو)* قصبة إقليم خراسان، فهمنا الوصية وعرفنا أنها وضعت لتخلص موقف

---

[١] المرجع نفسه، ص٢٧.

* مرو: وهي مرو الشاهجان، قصبة خراسان وأشهر مدنها. ياقوت: معجم البلدان، ١١٢/٥.

أبي مسلم من العرب، بعد انتصار الثورة العباسية، فهي توضح خطته وخطتهم في القتل على التهمة لخطورة الأحوال التي لاتسمح لهم بالتروي والتثبت[١].

ومما يؤكد أن واضع هذه الوصية أبو مسلم الخراساني الأمور الآتية:

أ- لايمكن لرأس الدعوة إبراهيم الامام أن يطلب قتل كل لسان عربي في خراسان وفي هذه المنطقة قبائل عربية تعيش على أرض غير عربية، كما أن أغلب رجال الدعوة كانوا في خراسان التي تعد من أهم المناطق التي عولت عليها الدعوة العباسية كمنطلق لثورتها. فقد ذكر ابن قتيبة[٢]: أن محمد بن علي بن العباس حين وجه الدعاة، قال لهم: عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر. كما أن الدعوة لقتل كل لسان عربي، يعني ذلك ترك خراسان تحت نقمة (الموالي) وبذلك تكون الثورة العباسية ثورة لهم على حساب العرب، ويستمر خطر هذه الثورة على عرب خراسان أولاً وعرب العراق، وعلى رؤوس الدعوة التي منها إبراهيم الامام نفسه.

ب- عند محاكمة الخليفة أبي جعفر المنصور لأبي مسلم الخراساني، أثار المنصور قتل سليمان بن كثير الخزاعي وعدّه دليلاً على جرائم الخراساني، فلم يستطع أبو مسلم الدفاع والتذرع بالوصية ولاسيما ماجاء بها (وإن شككت بأحدهم فاقتله) مما يبين أن أبا مسلم الخراساني لم يكن باستطاعته التستر وراء هذه الوصية لدفع التهمة عنه على الرغم من أن موقفه كان دقيقاً وحرجاً.

ج- لقد استغل أبو مسلم الخراساني هذا النص الموضوع من الوصية في القضاء على خصومه من دعاة العباسيين وليس في القضاء على دعاة الأمويين فحسب، ولو كان في الوصية تشكيك وقتل أولئك الموالين للأمويين لسهل

---

[١] الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، دار المشرق، (بيروت، ١٩٨٤)، ص٢٥.

[٢] عيون الأخبار: ٣٠٣/١.

الأمر، ولكن الوقائع التاريخية أثبتت أن الخراساني قتل من رجال الدعوة العباسية وقادتها ومؤيديها أكثر مما قتل من الأمويين. وما قيل: أن الوصية أريد بها أن تكون للقضاء على مؤيدي الأمويين، فإن الذهاب إلى هذا لم تؤيده الحقائق التاريخية.

د- إن محاولات بعضهم في تحديد المراد بقوله: وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل، هو قتل أنصار الأمويين فإن مثل هذا التفسير يراد منه التستر على موقف أبي مسلم الخراساني ومحاولة تزكيته عن جرائمه ومؤامراته في محاولة يائسة لتحميل النص خلاف مايحمل أو فوق مايستطيع حمله، فلا يجوز إسقاط النص عن مدلوله العام المطلق إلا بحجة ودليل، فإن المطلق يبقى على إطلاقه فالعرب كل العرب.

ثبت المصادر

١) ابن الأثير: عز الدين محمد بن الحسن الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٠).

٢) الأزدي: الشيخ أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، تاريخ الموصل، تحقيق: د.علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة، ١٩٦٧).

٣) الدوري: الدكتور عبد العزيز عبد الكريم:

أ- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، دار المشرق، (بيروت، ١٩٨٤).

ب- العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٨٨).

٤) الدينوري: أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٣٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٦٠).

٥) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٨).

٦) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٢٩م):

أ- الإمامة والسياسة، مطبعة البابي الحلبي، (القاهرة، ١٩٦٣).

ب- عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت).

٧) مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، (ليدن، ١٨٦٩).

٨) مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري: أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: د.عبد العزيز الدوري ود.عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٧٠).

٩) ياقوت: أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٦م)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٥).